تحقيق

كارول سلوم
Carolsalloum11@gmail.com

مراسلون في قلب النار والدمار: مشاهدات مؤلمة وضغوط نفسيّة حادة

يحمل المراسل الميداني روحه على كفه في كل مرة يكلف فيها تغطية حدث له طابع اشكالي او امني، فكيف اذا كان مراسل الحرب في المناطق الاكثر خطورة، حيث المواجهات والاستهدافات والتفلت من اي قيود؟ يكلف المراسلون هذه المهمة وهم يدركون بأن حياتهم لم تعد ملكا لهم، وان عودتهم سالمين تستدعي دعاء العائلة والاصدقاء

الجرأة والشجاعة مطلوبتان في هذا العمل، وتساهمان في دفع البعض الى التوجه الى مناطق المواجهات من دون حتى النظر الى الوراء. في خلال العدوان الاسرائيلي ضد لبنان نقل المراسلون، لاسيما الذين يغطون الوقائع الميدانية على شاشات التلفزة، مع غصة تصدر عنهم بشكل تلقائي لأنهم اول من يشهد على ما يلحق ببلدهم من قتل وتدمير وتهجير. "الامن العام" حاورت الزملاء لارا الهاشم من تلفزيون "ال بي سي" وريف عقيل من تلفزيون "الجديد" وصبحي قبلاوي من تلفزيون "ام تي في".

الهاشم: مقيدون بحدود معينة

■ ما هي الصعوبات التي واجهتك خلال عملك كمراسلة على الارض؟

□ لم تحصل مشاكل مع احد خلال التغطية، انما كانت هناك صعوبة في الدخول الى المناطق التي تحصل فيها اشتباكات في الجنوب والبقاع تحديدا. من بين المشاكل التي نعاني منها ان الطرقات الرئيسية والفرعية المؤدية الى مناطق معينة مقطوعة. اما بالنسبة الى المناطق داخل بيروت، فيسمح بالدخول الى بعضها لكن قدرة التصوير فيها محدودة ووفق ما هو مسموح. ولأن الاشتباكات تقع في مناطق بعيدة، اي في المناطق الحدودية، فان الوصول الى المعلومة لجهة ما يحصل صعب. هنا نعتبر اننا مقيدون ضمن حدود معينة، فيكون الاعتماد على المعلومات المستقاة من بيانات حزب الله او ما ينشر ويصدر من المزاعم الإسرائيلية.

مراسلة "ال بي سي" لارا الهاشم.

■ ما هي ابرز المشاهدات التي رسخت في عقلك ولا يمكن نسيانها؟

□ من اقسى المشاهد التي مرت خلال تغطيتي الصحافية كانت عند توجهي في اليوم التالي بعد استهداف لمبنى في منطقة الضاحية الجنوبية، حيث تم اغتيال مقاتلين في قوة الرضوان التي كانت تعقد اجتماعها في اسفل هذا المبنى. هناك شاهدت عائلات تنتظر الاخبار بعد اختفاء افراد باكملها منها، وعند حضوري في اليوم التالي كانت هذه العائلات لا تزال تنتظر. من المشاهد المؤلمة ايضا رؤيتي فتاتين صغيرتين تنتظران بعيون دامعة معرفة اي خبر عن والدتهما. بالطبع مشاهد الدمار مؤلمة للغاية، لكن هناك مشاهد انسانية مؤثرة لا تزال عالقة في ذهني. ما جرى قبل التوغل الاخير، في منطقة النبطية حيث وقعت مجزرة واستشهدت عائلة بكاملها، من الجد والاب والام والابناء والاحفاد وشقيقة الجد. رحلوا وبقيت اغراضهم من ثياب والعاب اولاد ومقتنيات. كذلك لا يمكنني ان انسى لحظة توجهي الى حاصبيا بعد ايام على استهداف الزملاء في تلفزيوني المنار والميادين، حيث تأثرت كثيرا لاسيما اننا كنا ننقل الاخبار سويا من بقعة جغرافية مطلة على المناطق الحدودية. وعندما تلقيت خبر استشهادهم شعرت بأن داخلي يغلي، وتأثرت بعد معاينة الدمار الذي لحق بمكان اقامتهم، كذلك برؤية ادوات النقل الخارجي التي عصف بها الانفجار والسيارة المحروقة، وقلت في نفسي انه كان يمكن لهذا الاستهداف ان يطاولني وجميع الزملاء، لاسيما انهم يقيمون في المجمع نفسه.

> **استشهاد زملائي اثر كثيرا عليّ**

■ هل خطرت في بالك فكرة انسحابك من نقل وقائع الحرب؟

□ التغطية في هذا المجال مسألة اختيارية، ومؤسستي لم تفرض عليّ هذا الخيار. لم اقل مرة انني لا اريد هذه المهمة، بل على العكس اندفع وراء عملي والمكان الذي يمكن ان احصل منه على الصورة. ان اكثر ما يزعجني في هذه الحرب هو استهداف الجيش اللبناني، لأنني لا اعتبره طرفا فيها. الحرب التي تخاض اليوم ليست محصورة في اطارها العسكري، بل تتضمن منحى اجراميا كبيرا بدليل استهداف الجيش والصحافيين وفرق الاسعاف التي تقوم بمهمات انسانية.

عقيل: كتبت وصيتي واعطيتها لزوجي

■ كيف تشرحين تغطيتك لهذه الحرب؟

□ اتخذت هذه الحرب شكلا محددا في بدايتها ثم اشكالا اخرى لاحقا، لكن هذه الاشكال تقف عند توصيف واحد: مخيفة جدا. في بداية الحرب تشعرين بالحماسة وتجدين نفسك غير مقتنعة بانه لو كان عدوك، فانك لن تتعرضي للقتل. المشهد حاليا مختلف كليا بعد عام واكثر على التغطية الاعلامية. لم يكن الضغط الذي مررنا به في العمل الميداني سهلا، فتجدين نفسك مرهقة وغير مستقرة وتشعرين بالقلق. فمرة يطلب اليك التوجه الى الجنوب ومرة اخرى الى بعلبك، ومرة الى البقاع الغربي. اذا كان هناك استهداف لمنطقة ما تتوجهين اليها، ونحن كصحافيين لم نعد نشعر بأي نوع من الاستقرار. هذه الحرب الشاملة تشن ضد لبنان، وطاقاتك مستنفدة في كل الاتجاهات. منذ عام واكثر لم نعد قادرين على النوم اكثر من ثلاث ساعات. منذ فترة انتابتني نوبة بكاء كالاطفال رغم انني انسانة قوية وصلبة. بكيت لأنني كنت منهارة، وقتها قال لي زوجي انت تخيفينني لأنني اراك في هذه الحالة للمرة الاولى. كتبت وصيتي واعطيتها لزوجي قبل ذهابي لتغطية الحرب في الجنوب. انا لست صحافية فحسب، بل انا ام ايضا ومنزلي قرب الطيونة، وعندما تستهدف الضاحية، اشعر بالقلق.

مراسلة "الجديد" ريف عقيل.

■ ما هي ابرز المشاهد التي رسخت في ذهنك خلال عملك؟

□ في العام الماضي وتحديدا في 13 تشرين الثاني، كنا نقوم بجولة على منطقة يارون الواقعة على الشريط الحدودي، حيث في امكانك رؤية الاسرائيلي. توجهنا مع مجموعة من الصحافيين، وخلال تقديمي الرسالة ◄

◄ المباشرة حيث كانت قناة الجديد الوحيدة في هذا البث المباشر، اغار الطيران المعادي على الطريق العامة حيث كنا، ثم تم استهدافنا بغارة ثانية. تعود هذه اللحظة دائما الى ذهني حيث قيل لي "اركضي... اركضي بدها تضرب الطيارة مرة تانية". هنا تتوقفين من دون ان تعرفي اي اتجاه هو الاصح، ومَن يقول انه في هذه اللحظة لن تموتي. في هذه التغطية توجهت الى عملي وكنت على خلاف مع اهلي، لأن والدتي اتصلت بالمحطة وعبرت عن غضبها بشدة، وقالت كيف ترسلون ابنتي الى الجنوب وهي الوحيدة هناك؟ يوم تفجير اجهزة البيجر والوكي توكي، كنت اقوم بمهمة نقل وقائع تشييع في الضاحية، وفجأة بدأت ارى اناسا "تفرقع". هذا المشهد لا يمكن ان يخرج من ذهنك بأي شكل من الاشكال. كما اتذكر انه في اليوم نفسه توجهت للقيام بعملي في مستشفى الجامعة الاميركية، وانا من الاشخاص الذين احترم خصوصية الناس ولا اتطفل على احد ويستحيل الاقتراب من اي امرأة لسؤالها عما حل بها. هناك رأيت هذه المرأة مستعدة كأم للتضحية بعينها لابنها. سواء اتفقت معك

> **لا انسى ما حدث في تفجيرات "البيجر"**

في السياسة او اختلفت، فانه مجرد معرفة ان هناك 4 الاف شاب اصبحوا من دون عيون يجعلني انزعج كثيرا. هناك مشاهد الشهداء والدمار التي تؤلمني، انما ما اود قوله انه نظرا الى ما مر في حرب غزة، بتنا وكأننا نلنا جرعة مورفين من خلال الصور التي رأيناها.

■ في خلال هذا العمل، هل انت راضية عن مواكبة الدولة ووزارة الاعلام لعمل مراسلي الحرب؟

□ لن اتحدث عن وزارة الاعلام، بل سأقول ان الدولة وصلت الى الحرب وهي منهكة ولا امكانات لديها، ووزارة الاعلام لم تتمكن من دعم الصحافيين. انا كصحافية املك الخبرة، راتبي يعادل رواتب المؤسسات المحلية الاخرى، ولولا محبتي لعملي لما بقيت في عملي. وزارة الاعلام لا تملك الامكانات، لا تملك الدرع للحماية ولا الخوذة، ولا يمكن ان تتأكد ما اذا كنت املك تأمينا، ولا سلطة لديها في ان تسجلني في النقابة. الوزير الحالي محترم ويجري اتصالاته ويحتضن الاعلاميين ويبذل الجهد، لكن على قاعدة المثل الشعبي "على قد بساطك مد اجريك" ووفق الامكانات المتاحة. انا لا الومه، لكن في الدول الاجنبية ما من صحافي الا ويملك تأمينا وضمانا. تخيلي انني اعلامية منذ 20 عاما وحزت على شهادات، لكن لا يمكنني ان اضع تعريف الصحافة على جواز السفر لانني لا املك ورقة النقابة، علما انني درست في فرنسا وبمجرد دراستي هناك، اصبحت عضوا في نقابة الصحافة الفرنسية. لذلك اصطحب معي اوراقي وبطاقات العمل والخبرة الى الامن العام الذي يتمتع عناصره بكل الاحترام، ويتم وضع تعريف الصحافة على جواز السفر فقط لأنهم يعرفون عملي.

قبلاوي: الموت ليس سبقا صحافيا

■ ما هي الانطباعات التي تسجلها في خلال التغطية الاعلامية للحرب ومعلوم انها تختلف عن انطباعات اي مراسل اخر في مهمة معينة؟

□ المراسل الميداني الحربي في لبنان يقوم بأصعب مهمة على الاطلاق في الامكنة التي تشهد نزاعات وحروبا. نحن في لبنان نتفق على ان اسرائيل هي العدو، لكن هناك خلافات على السياسات في كيفية ادارة الامور، وهذا يضع المراسل في موقع صعب. اكثر من مرة وصلتني معلومات عن اغتيالات واسماء كبيرة اراجع دقتها قبل الافصاح عنها. على سبيل المثال، في احداث البيجر، كانت الامور لا تصدق وكانت هناك حاجة الى عقل يستوعب ويصدق، وقدرة على نقل ما جرى. كما ان الاغتيالات الكبرى التي تمت في شهر ايلول الفائت، بدءا من قيادات الرضوان في حزب الله وصولا الى اغتيال الامين العام للحزب السيد حسن نصر الله، تملكتني دقائق من الصدمة والرعب لجهة الكشف عن الاسم. شئنا ام ابينا السيد حسن شخصية مهمة في المنطقة. من ابرز الصعوبات التي اواجهها هي معرفتي بوجود شهداء. حصل معي ذلك كثيرا خلال هذه الحرب وكنت اعلم بوجود اسماء مهمة، لكنني فضلت عدم ذكرها، لأنني اعتبر ان الموت ليس "سكوب" اي ليس سبقا صحافيا.

■ يتراءى الموت كثيرا امام المراسل الحربي، بماذا تشعر عند اشتداد المواجهات وانت تقوم بواجبك المهني؟

□ بدأت في قناة "ام تي في" مراسلا ميدانيا منذ اربع سنوات، بدءا من الثورة الى انتشار وباء كورونا مرورا بانفجار المرفأ وازمة البنزين والكهرباء، وصولا الى اليوم، حيث كان السواد يلف البلاد. هذا الامر يجعلنا نعاني من ضغط نفسي كبير. وصلت الى اماكن قلت فيها انني لم اعد اريد هذا العمل. في كثير من المرات اقول لرفاقي انه اذا اصابني اي مكروه افعلوا هذا وذاك، لأن الضغط النفسي في نهاية المطاف يجعل اهلك واولادك تحت وطأته، ولا بد من التعايش معه، خصوصا وان لبنان يمر بأزمات كثيرة.

مراسل تلفزيون "ام تي في" صبحي قبلاوي.

> **كنت اعلم بالاسماء المهمة المستهدفة لكني لم اذكرها**

■ ما هي ابرز المحطات التي لا يمكن لك ان تنساها؟

□ في بداية هذه الحرب وخلال شن العدوان الاسرائيلي لاحدى الغارات، كنت اعرف من استشهد ووصل تسجيل صوتي من نجل هذا الرجل قال فيه للصحافيين عبر مجموعة "الواتس اب" اذا كنتم تعرفون ان والدي هو من استشهد اذكروا ذلك، فهذا الصوت لن انساه في حياتي لأنه كان يرتجف فارتجفت قلوبنا معه. ما من احد قادر ان يشير الى الموت، لذلك كان الامر صعبا. مشاهد الموت صعبة جدا في خلال هذه الحرب، ونبأ اعلان ذلك هو الاصعب.

■ هل كانت العلاقة مع الزملاء على ما يرام في اثناء التغطيات؟

□ هي علاقة اخوة وكانت جيدة. هناك من يعتبر باننا كصحافيين لا نتحدث مع بعضنا البعض كوننا نعمل في مؤسسات لها سياسات مختلفة، في حين نعيش كزملاء نتبادل المعلومات بطريقة مهنية، ونطمئن الى بعضنا البعض وليس هناك اي خلافات بيننا.